

العلاقات العراقية الإيرانية، خيار أم ضرورة؟

الندوة الشهرية



مركز المنبر للدراسات والتنمية
ALMANBAR FOR STUDIES AND DEVELOPMENT

عن المركز

مركز المنبر للدراسات والتنمية المستدامة، مركز مستقل، مقره الرئيس في بغداد. رؤيته الرئيسة تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام - فضلاً عن قضايا أخرى - ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا تهّم الشأن السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي، والثقافي.

لا تعبر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز وانما تعبر عن رأي كاتبها

حقوق النشر محفوظة لمركز المنبر للدراسات والتنمية المستدامة

<https://www.almanbar.org>

info@almanbar.org



العلاقات العراقية الإيرانية، خيار أم ضرورة؟

نظّم مركز "المنبر للدراسات والتنمية المستدامة" ندوة حوارية عن العلاقات العراقية الإيرانية بتاريخ 6 آذار 2024، تحت عنوان: العلاقات العراقية الإيرانية خيار أم ضرورة؟

شارك في الندوة نخبة من الباحثين والسياسيين والاكاديميين، وناقشت العلاقات العراقية الإيرانية من حيث الوقائع الجغرافية والاعتبارات التاريخية، والتبادلات الاقتصادية، والتعاون السياسي، والمشكلات التي تواجه مسار العلاقة وفرص تطويرها بما يخدم مصالح البلدين الجارين.

ادار الندوة الباحث الأستاذ ابراهيم العبادي، وقُدمت فيها ورقّتين، الأولى لعميد كلية العلوم السياسية في جامعة النهريين الدكتور اسامة السعيدى والثانية للباحث في شؤون الحركات الإسلامية الأستاذ غالب حسن الشابندر.

في مستهل الندوة قدم الباحث إبراهيم العبادي استعراضًا سريع لواقع العلاقات العراقية الإيرانية من الجوانب الجغرافية والسياسية والاقتصادية والثقافية، موضحاً أن الحديث عن العلاقات العراقية الإيرانية هو حديث لا يخلو من التعقيد والتشابك، بكل ما لهذه العلاقات من مدركات سياسية، وحتمية جغرافية

وتاريخ طويل، وتحولات في المسار التاريخي لهذه العلاقة وصولاً إلى مرحلة تغيير النظام السياسي في العراق عام 2003.

وأشار العبادي إلى أن هذه العلاقات تطورت بشكل كبير بعد 2003، لكن في هذا الصدد تثار مجموعة من الاسئلة:

كيف ينبغي ان تكون العلاقات مع ايران؟.

ماهو موقع المصلحة الوطنية العراقية في هذه العلاقات؟.

ما هو مدرك السيادة؟ وما هو مدرك العلاقات الدولية بين دولتين ذوات سيادة؟.

كيف ينظر الايرانيون الى العراق؟.

هل العراق بنظرهم دولة ذات سيادة؟ ام مساحة لإلتقاء المصالح والتسويات الكبيرة بين ايران وباقي دول المنطقة، حيث يُعد العراق بعد 2003 مدخلاً أساسياً لعلاقة ايران مع الدول العربية أخذاً بعين الإعتبار أن العراق أصبح يُصنف من قبل الدول العربية كبلد عربي تحكمه أحزاب إسلامية شيعية لها صلات وثيقة وتاريخية مع إيران التي تُصنف بدورها - عربياً وإسلامياً- كدولة شيعية واثرة للأمبراطورية الصفوية.

في ما يلي ملخص لما طرحه الباحثان السعيدي والشابندر من أفكار ورؤى في الندوة، ومدخلات التعقيب على ورقيتهما البحثيتين.

الدكتور اسامة السعيدي:

*ان اول دولتين اعترفتا بالنظام السياسي العراقي الذي تشكّل بعد عام 2003، هما تركيا وإيران، ولذلك حظيت هاتين الدولتين بأهتمام النظام السياسي الجديد، أما الدول العربية فقد كان لها موقفاً سلبياً تجاه النظام السياسي الجديد خلافا لما هو متوقع، فالنظام السياسي السابق (نظام صدام حسين) كانت له مواقف عدائية تجاه الدول العربية من حيث الايديولوجية التي تبناها حزبه (البعث العربي الإشتراكي) وسلوكه السياسي الخارجي سيما بعد اجتياحه للكويت وتهديده للسعودية وباقي الدول العربية الخليجية عام 1990.

والمفارقة ان الدول الخليجية ومعها مصر والاردن وبلدان عربية أخرى تضررت من سياسات النظام السابق نجدها إتخذت موقفا عدائياً تجاه النظام السياسي الوليد في العراق بدلاً عن دعمه وتأييده.

*في مؤتمر وارسو عام 2019 الذي قاده الولايات المتحدة الامريكية تحت عنوان (المؤتمر الوزاري لتعزيز مستقبل السلام والأمن في الشرق الأوسط)، لمناقشة قضايا (الإرهاب والتطرف، وتطوير الصواريخ وانتشارها، والتجارة البحرية والأمن البحري، والتهديدات التي تمثلها الجماعات المسلحة)، قال وزير خارجية الولايات المتحدة آنذاك، مايك بومبيو، إن هدف المؤتمر "هو التركيز على تأثير إيران في المنطقة، وتشكيل تحالف ضد ايران يضم كل الدول العربية، إلى جانب اسرائيل بالطبع"، ومنها اعتبر هذا المؤتمر بمثابة خط الشروع لقطار التطبيع الاسرائيلي مع الدول العربية، وبالتأكيد فأن العراق وقع تحت ضغط الولايات المتحدة

الامريكية بشكل كبير بعد هذا المؤتمر لدفعه باتجاه التطبيع مع الكيان الصهيوني والتخلي عن العلاقات مع ايران.

*لكن العراق مضى في اتجاه معاكس وذهب في شوط مقاطعة إسرائيل إلى تجريم التعامل معها عندما "شرع البرلمان العراقي قانون تجريم التطبيع مع الكيان الصهيوني في عام 2022".

*ونظراً لكون العراق تحت الوصاية المالية الامريكية، لايزال هذا الوضع يشكل تحدياً جدياً لسيادة العراق الاقتصادية، سيما وان واشنطن تفرض الحظر والعقوبات على التعامل المالي مع ايران، في وقت يحتاج فيه العراق للتعاون مع إيران في مجالات التجارة والطاقة. لذلك نحن نقر بأن هنالك صعوبة في تحويل الأموال الى ايران، وهذا يمثل تحدياً كبيراً لصانع القرار السياسي العراقي ويجعلنا أمام تساؤل: هل نحن مع إيران ام مع الولايات المتحدة الامريكية في هذه الحالة؟.

*في ضوء هذا التحدي حاولت الحكومات العراقية (بعد 2003) اتباع سياسة متوازنة تجاه هذا الملف، ولحسن الحظ ان الايرانيين متفهمين لهذا الموضوع بخلاف الامريكان، وهناك شواهد كثيرة على ذلك ابرزها تجربة السيد عادل عبد المهدي في رئاسة الحكومة (2018 - 2020)، عندما حاول التخلص من الهيمنة الاقتصادية الامريكية على العراق، والمضي باتجاه الصين حيث جرى ما جرى من احداث انتهت باستقالة الحكومة ومجيء حكومة السيد مصطفى الكاظمي (2020 - 2022)، المعروف بتوجهاته الامريكية، مع محاولته لجدولة الانسحاب الامريكي لكنه لم ينجح في ذلك.

*ايران دولة طموحة وفي ادبيات العلوم السياسية تسمى دولة (هدف) وهي محاصرة دولياً منذ عام 1979 عقب انتصار الثورة الاسلامية، ومنفذها الاساسي الى العالم هي دولة تركيا. والحق فان الاعتبارات الجغرافية والتاريخية والاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية، تجعل من العلاقات العراقية الايرانية ضرورة وليست خياراً اطلاقاً، وبالتأكيد هذه الاعتبارات هي الأساس لأسباب موضوعية وليس عاطفية.

لذلك ينبغي ان يكون موقف الحكومة العراقية الحالية او القادمة هو موقف متوازن جداً للحفاظ على تجربة النظام السياسي الجديد في العراق واستكمال ارساء بناء اسس الدولة ومؤسساتها وتقديم الخدمات للمواطنين. واعتقد ان النظام السياسي في العراق قد وصل الى مرحلة من النضج في فهم هذه الحالة والتعامل مع هذا التوازن.

الاستاذ غالب الشايندر:

*نحن في الواقع نحتاج ان نقيم علاقات حتى مع الدول الافريقية، فما بالك بالعلاقات بين العراق وايران التي لدينا معها اطول شريط حدودي بأكثر من 1400 كم، وغيرها الكثير من العوامل المشتركة، ولكن السؤال الجوهرى هو كيف يجب ان تكون هذه العلاقات؟، والجواب هو يجب ان تقوم على اساس المصالح المشتركة وتبادلها وهذا منهج كل دولة حتى لو كانت دولة يقودها نبيّ مُرسل.

لكن الواقع بالنسبة للعلاقة بين العراق وايران غير ذلك، اذ ان ايران تتدخل في العراق، وهناك خلل في طبيعة هذه العلاقات.

*الدولة الايرانية تتبنى مبدأ ولاية الفقيه، وهي تبني علاقاتها الخارجية على هذا الاساس وهي رافعة هذا اللواء بمعنى انها دولة عقائدية، وهناك نظرية مُتبناة من قبل النظام السياسي الإيراني اسمها (أم القرى)، صاغها محمد جواد لايريجاني، ملخصها أن قيادة العالم الإسلامي تقوم على أساس ولاية الفقيه، وأن إيران هي مهد الإسلام الحقيقي والخالص، وأنه بعد انتصار الثورة الإيرانية أصبحت إيران أم القرى ودار الإسلام، وأصبح عليها واجب قيادة العالم الإسلامي، وعلى الأمة الإسلامية واجب ولايتها، أي أن إيران أصبحت لها القيادة لكل الأمة، وهزيمتها أو انتصارها هزيمة أو انتصارا للإسلام كله، وبالتالي وفقاً لهذه النظرية فإن الحفاظ عليها يأخذ أولوية على أي أمر آخر.

*من مظاهر التدخل الإيراني في العراق أن الحرس الثوري الإيراني، القائد الحالي إسماعيل قآني، ومن قبله المرحوم قاسم سليماني، هم من ينصبون الحكومات في العراق، لذلك لا توجد علاقات متوازنة بين العراق وايران، بل هنالك اذرع ايرانية في العراق، مقابل عدم وجود اذرع عراقية داخل ايران.

*في العراق هنالك من يتبع ايران ويعتق مبدأ ولاية الفقيه، هنالك منظمات وتيارات واحزاب وشخصيات سياسية تعلن ولاءها لإيران، ولمبدأ ولاية الفقيه، وايران تمويلهم وتدعمهم وتسيطر عليهم كما هو الحال في لبنان وحزب الله.

*في العراق كانت هنالك انتفاضة عظيمة عام 1991 ضد نظام صدام، ولكن ايران خذلتنا، ونحن نرفع صور رموز وفقهاء ومراجع كالصدر والحكيم، اين كانت ايران؟. هنالك اغفال لدور الشيعة في العراق، ولم نسمع بخطبة واحدة في ايران حول تمجيد قتال العراقيين في اكثر من مرحلة ومواجهة مع النظام البائد.

*في الاطار الاقليمي تشهد منطقة الشرق الاوسط تنافسا بين دولتين كبيرتين هما السعودية وايران، واعتقد بأن الشيعة في العراق انهكتهم الشعارت، كم مرة تقاتل العرب مع الكيان الصهيوني؟. لكن ليست دولة قطر هي من اعادت اعمار غزة فماذا قدمت ايران؟.

*العلاقات بين العراق وايران لا تقوم على اساس التوازن والمصالح بل لمحاولات السيطرة الايرانية المستمرة على العراق، ايران دولة تريد ان تستغل العراق لمصالحها الامبراطورية، فالعراق تاريخيا كان جزءاً من الامبراطورية الفارسية، وايران تريد تصدير الايديولوجية الخاصة بها وفقاً لمبدأ ولاية الفقيه، عبر ما عرف بتصدير الثورة، ولإيران هوس بالقيادة والسيطرة على كل العالم.

وفي الختام اقول انه لا بد من معرفة ان هنالك نظرة اسلامية قومية في السياسة الخارجية الايرانية تجاه العراق.

أهم ماورد في المداخلات:

الأستاذ عقيل الطريحي:

*اعتقد ان العلاقات الايرانية العراقية هي ليست خيارا او ضرورة، انما هي قدر، فنحن نمتلك مشتركات كثيرة مع ايران. والقدر هو الذي يحكم كل العلاقات بين الدول.

*إيران من الجانب السياسي متفوقة على دول الجوار العراقي، وتقيم علاقات مع مختلف القوى العراقية، مع السنة والشيعية والاكرد، ولم يستفد الوسط الشيعي من تطور العلاقات مع ايران اذ لاتزال معاناته قائمة. اختتم بسؤال ماذا لو كنا مكان ايران نحن في العراق؟. ألم نكن في السابق امبراطوريات حكمت مساحات شاسعة واحتلت دول عديدة، بالتأكيد لو كنا مكانها لكان التعامل ذاته.

د. سليم الجبوري (رئيس البرلمان العراقي الأسبق):

*العلاقات الايرانية العراقية موضوع معقد ويتأثر بأكثر من عامل سياسي واقتصادي وثقافي واقتصادي. والواقع في اكثر من لقاء مع الجانب الايراني، تحدثت معهم عن وجوب التعامل مع الدولة العراقية والحق اصبح هنالك قناعة لدى الكثيرين حتى من الشيعة ان ايران تتعامل مع العراق وحتى مع الشيعة وفقا لمصالحها، وهم يعرفون ما يريدون، والحق هنالك صعوبة في التعامل مع الجانب الايراني ودائما ما تكون هنالك حيرة، فهل نتحدث معهم كدولة تجاه دولة؟. ام كرامة سياسيين؟. وبمجرد ان نعرف ونحدد ماذا نريد من ايران يتبدل الخطاب وتتبدل اللهجة الايرانية.

د. هشام العلوي (وكيل وزير الخارجية العراقي):

*نحن نركز في عملنا في وزارة الخارجية على القيم الاساسية والمصالح، وفي العرض الذي قدمته في مؤتمر السفراء الذي عقد في وزارة الخارجية في تشرين الثاني 2023، والذي حمل عنوان (الدبلوماسية العراقية علاقات دولية متوازنة وتنمية اقتصادية مستدامة)، حددت الدول ذات الاهمية بالنسبة للدولة العراقية، وضعت في المرتبة الاولى الولايات المتحدة الامريكية، ومن ثم الجمهورية الاسلامية الايرانية، وهكذا تبعا بقية الدول، واخذنا بنظر الاعتبار في ذلك التحديد مجموعة محاور سياسية واقتصادية وعلمية وثقافية ووجود الجالية وحركة السفر. ولاشك ان هنالك مجموعة من الاهداف بين الدولتين، وهي اهداف يجب ان لا نختلف عليها.

*هنالك نقاط خلافية بين الدولتين، غير ان ذلك لا يمنع ان تكون ايران قريبة سياسيا من مواقفنا في القضايا الدولية. ينبغي أن نشير إلى أن إيران دعمت العراق عسكريا واستشهد القائد قاسم سليمان مع القائد في الحشد الشعبي ابو مهدي المهندس، كذلك هنالك تأثر وتأثير متبادل بين العراق وايران، ففي العراق هناك المرجعية الدينية في مدينة النجف الأشرف، ولهذه المرجعية مقلدين كثر في ايران، وبالمقابل هنالك مرجعية ولاية الفقيه في ايران، التي لها اتباع ومقلدين في العراق، وهنالك جالية عراقية كبيرة في ايران وبالمقابل هنالك ايضا الطلاب الايرانيون الذين يأتون للدراسة في العراق، فضلا عن الزيارات المليونية سواء في العراق او في ايران، واختتم بالقول اننا نحتاج الى تحديد الاهداف الاستراتيجية في العلاقات الايرانية العراقية، وادارة مشتركة للتحديات بما يخدم المصلحة المشتركة للدولتين.